

534131 - ما المراد بالعهد والوعد في حديث سيد الاستغفار (وإنا على عهده، ووعدك ما استطعت)؟

السؤال

وأنا على عهده، ووعدك ما استطعت، أي عهد ووعد يتحدث عنه؟

الإجابة المفصلة

هذه العبارة وردت في حديث سيد الاستغفار، وهو حديث عظيم في معانيه وللالاته ومramاته. ولذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم (سيد الاستغفار):

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «سَيِّدُ الْإِسْتَغْفَارِ أَن تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، حَلِقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبْوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبْوءُ لَكَ بِذَنبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبُ إِلَّا أَنْتَ». قال: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَا تِمَّ مِنْ يَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَا تِمَّ قَبْلَ أَنْ يُضْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» رواه البخاري (5947).

ثانياً:

أما عن معنى عبارة (وأنا على عهده، ووعدك ما استطعت)، فيقال فيه:

العهد هو: العهد الذي أخذه الله على عباده في أصل خلقهم، حين أخرجهم من أصلاب آبائهم أمثال الذر، (وأشهدهم على أنفسهم أسلت بربكم قالوا بلى) [الأعراف: 172]; فأقرروا له في أصل خلقهم بالربوبية، وأذعنوا له بالوحدانية.

والوعد: هو ما وعدهم تعالى أنه من مات لا يشرك منهم بالله شيئاً، وأدى ما افترض الله عليه: أن يدخل الجنة”^{< انظر>} شرح صحيح البخاري – ابن بطال ”(10/75) و”فتح الباري لابن حجر“ (11/99):

وقيل:

العهد: ما عاهدتكم عليه من الإيمان بك، وإخلاص الطاعة لك، ما استطعت من ذلك.

والوعد: أي موقن بما وعدت، ومستنجز وعده في المثوبة والأجر عليه. انظر: ”أعلام الحديث“ للخطابي، (3/2236)، ”سبل السلام“ (4/710 ط الحديث) ”منحة العلام في شرح بلوغ المرام، للفوزان“ (10/436).

ولا تعارض بين المعنيين، وما احتمل أكثر من معنى من نصوص الشرع دون تعارض، فإنه يحمل عليها.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

“إذا احتمل اللفظ معنيين متساوين لا ينافي أحدهما الآخر حُمِّل عليهما جميـعاً.” انتهى من “تفسير العثيمين: الزخرف” (ص 31).

قال الإمام الخطابي، رحمه الله: ”قوله: وأنا على عهـدك ووـعدك ما استطـعت، يربـد أنا على ما عاهـدتـكـ عـلـيـهـ وـوـاعـدـتكـ من الإيمـانـ بـكـ وإـلـاـصـ الطـاعـةـ لـكـ ما استطـعتـ منـ ذـلـكـ، وـقـدـ يـكـونـ معـناـهـ أـنـيـ مـقـيمـ عـلـىـ ماـ عـهـدـتـ إـلـيـ منـ أـمـرـكـ، وـمـتـمـسـكـ بـهـ، وـمـتـنـجـزـ وـعـدـكـ فيـ المـثـوـيـةـ وـالـأـجـرـ عـلـيـهـ، وـاشـتـرـاطـهـ الـاسـتـطـاعـةـ فـيـ ذـلـكـ مـعـناـهـ الـاعـتـرـافـ بـالـعـجـزـ وـالـقـصـورـ عـنـ كـنـهـ الـواـجـبـ مـنـ حـقـهـ عـزـ وـجـلـ.” انتهى، من ”أعلام الحديث“ (3/2237).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: ”ثم قال: ”وأنا على عهـدك وـوـعـدـكـ ما استطـعتـ“، فالله سبحانه وتعـالـىـ عـهـدـ إـلـىـ عـبـادـهـ عـهـداـًـ أـمـرـهـ فـيـ وـنـهـاـمـ، وـوـعـدـهـ عـلـىـ وـفـائـهـمـ بـأـعـلـىـ الـمـثـوـبـاتـ، فـالـعـبـدـ يـسـيرـ بـيـنـ قـيـامـهـ بـعـهـدـ اللهـ إـلـيـهـ وـتـصـدـيقـهـ بـوـعـدـهـ. أـنـيـ مـقـيمـ عـلـىـ عـهـدـكـ مـصـدـقـ بـوـعـدـكـ.“

وهذا المعنى قد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، ك قوله: ”من صام رمضان إيمـاناً واحتسـابـاً غـفـرـ لهـ ماـ تـقـدـمـ مـنـ ذـنبـهـ.“ والفعل إيمـاناً هوـ العـهـدـ الـذـيـ عـهـدـهـ إـلـىـ عـبـادـهـ، وـالـاحـتسـابـ هوـ رـجـاؤـهـ ثـوـابـ اللهـ لـهـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـهـذـاـ لـاـ يـلـيقـ إـلـاـ مـعـ التـصـدـيقـ بـوـعـدـهـ. وـقـولـهـ ”إـيمـاناًـ وـاحـتسـابـاًـ“ مـنـصـوبـ عـلـىـ الـمـفـعـولـ لـهـ، إـنـمـاـ يـحـمـلـهـ عـلـىـ ذـلـكـ إـيمـانـهـ بـأـنـ اللهـ شـرـعـ ذـلـكـ وـأـوـجـبـهـ وـرـضـيـهـ وـأـمـرـهـ، وـاحـتسـابـهـ ثـوـابـهـ عـنـ اللـهـ، أـيـ يـفـعـلـهـ خـالـصـاـ يـرـجـوـ ثـوـابـهـ.

وقوله: ”ما استطـعتـ“ أيـ إنـمـاـ أـقـومـ بـذـلـكـ بـحـسـبـ اـسـتـطـاعـتـيـ، لـاـ بـحـسـبـ مـاـ يـنـبـغـيـ لـكـ وـتـسـتـحـقـهـ عـلـيـ. وـفـيهـ دـلـيلـ عـلـىـ إـثـبـاتـ قـوـةـ الـعـبـدـ وـاسـتـطـاعـتـهـ، وـأـنـهـ غـيـرـ مـجـبـرـ عـلـىـ ذـلـكـ، بـلـ لـهـ اـسـتـطـاعـةـ هـيـ مـنـاطـ الـأـمـرـ وـالـنـهـيـ وـالـثـوـابـ وـالـعـقـابـ. فـفـيهـ ردـ عـلـىـ الـقـدـرـيـةـ الـمـجـبـرـةـ الـذـينـ يـقـولـونـ: إـنـ الـعـبـدـ لـاـ قـدـرـةـ لـهـ وـلـاـ اـسـتـطـاعـةـ، وـلـاـ فـعـلـ لـهـ الـبـيـثـةـ، وـإـنـمـاـ يـعـاقـبـهـ اللـهـ عـلـىـ فـعـلـهـ هـوـ، لـاـ عـلـىـ فـعـلـ الـعـبـدـ. وـفـيهـ ردـ عـلـىـ طـوـافـ الـمـجـوسـيـةـ وـغـيـرـهـمـ.“ انتهى، من ”جامع المسائل“ (1/160).

وقال ابن القيم، رحمه الله: ”ثم قال: ”وأـنـاـ عـلـىـ عـهـدـكـ وـوـعـدـكـ“، فـتـضـمـنـ ذـلـكـ التـزـامـ شـرـعـهـ وـأـمـرـهـ وـدـيـهـ -ـوـهـ الـعـهـدـ الـذـيـ عـهـدـهـ إـلـىـ عـبـادـهـ وـتـصـدـيقـ وـعـدـهـ، وـهـوـ جـزاـءـ وـثـوابـهـ. فـتـضـمـنـ التـزـامـ الـأـمـرـ، وـتـصـدـيقـ بـالـمـوـعـدـ، وـهـوـ الـإـيمـانـ وـالـاحـتسـابـ.

ثم لـمـ أـلـمـ عـلـمـ أـنـ الـعـبـدـ لـاـ يـوـفـيـ هـذـاـ الـمـقـامـ حـقـهـ الـذـيـ يـصـلـحـ لـهـ تـعـالـىـ عـلـقـ ذـلـكـ باـسـتـطـاعـتـهـ وـقـدـرـتـهـ الـتـيـ لـاـ يـتـعـدـاـهـ، فـقـالـ: ”ما استطـعتـ“ أيـ مـلـتـزـمـ ذـلـكـ بـحـسـبـ اـسـتـطـاعـتـيـ وـقـدـرـتـيـ.“ انتهى، من ”طـرـيقـ الـهـجـرـتـيـنـ“ (1/358).

وقال أـيـضاـ: ”فـتـضـمـنـ هـذـاـ الـاسـتـغـفـارـ الـاعـتـرـافـ مـنـ الـعـبـدـ بـرـبـوـيـتـهـ وـإـلـهـيـتـهـ وـتـوـحـيـدـهـ، وـالـاعـتـرـافـ بـأـنـهـ خـالـقـ الـعـالـمـ بـهـ، إـذـ أـنـشـأـهـ نـسـأـةـ تـسـتـلـزـمـ عـجـزـهـ عـنـ أـدـاءـ حـقـهـ وـتـقـصـيـرـهـ فـيـهـ، وـالـاعـتـرـافـ بـأـنـهـ عـبـدـ الـذـيـ نـاصـيـتـهـ بـيـدـهـ وـفـيـ قـبـضـتـهـ، لـاـ مـهـرـبـ لـهـ مـنـهـ، وـلـاـ وـلـيـ لـهـ سـوـاـهـ. ثـمـ التـزـامـ الدـخـولـ تـحـتـ عـهـدـهـ -ـوـهـوـ أـمـرـهـ وـنـهـيـهـ -ـالـذـيـ عـهـدـهـ إـلـيـهـ عـلـىـ لـسـانـ رـسـلـهـ. وـأـنـ ذـلـكـ بـحـسـبـ اـسـتـطـاعـتـيـ، لـاـ بـحـسـبـ أـدـاءـ حـقـكـ إـلـيـهـ غـيـرـ مـقـدـورـ لـلـبـشـرـ، وـإـنـمـاـ هوـ جـهـدـ الـمـقـلـ وـقـدـرـ الـطـاـقةـ؛ وـمـعـ ذـلـكـ فـأـنـاـ مـصـدـقـ بـوـعـدـكـ الـذـيـ وـعـدـتـهـ لـأـهـلـ طـاعـتـكـ بـالـثـوـابـ وـلـأـهـلـ مـعـصـيـتـكـ بـالـعـقـابـ، فـأـنـاـ مـقـيمـ عـلـىـ عـهـدـكـ، مـصـدـقـ بـوـعـدـكـ. ثـمـ الـاسـتـعـاـذـةـ وـالـاعـتـصـامـ بـكـ مـنـ شـرـ مـاـ فـرـطـ فـيـهـ مـنـ أـمـرـكـ وـنـهـيـكـ، فـإـنـكـ إـنـ لـمـ تـعـذـنـيـ مـنـ شـرـهـ، وـإـلـاـ أـحـاطـتـ بـيـ الـهـلـكـةـ، فـإـنـ إـضـاعـةـ حـقـكـ سـبـبـ الـهـلـكـ. وـأـنـاـ أـقـرـ لـكـ وـأـلـتـزـمـ بـنـعـمـتـكـ عـلـيـ، وـأـقـرـ وـأـلـتـزـمـ وـأـبـخـعـ بـذـنـبـيـ، فـمـنـكـ النـعـمةـ“

والإحسان والفضل، ومثني الذنب والإساءة. فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي، وأن تقيّنني من شرّه، إنّه لا يغفر الذّنوب إلّا أنت. فلهذا كان هذا الدُّعاء سيد الاستغفار، إذ هو متضمّن لمحض العبوديّة.

فأي حسنةٍ تبقى للبصير الصادق، مع مشاهدته عيوب نفسه وعمله، ومنته الله عليه؟ فهذا الذي يعطيه نظره إلى نفسه ونقشه. ”انتهى“، من ”مدارج السالكين“ (1/347).

وقال: ”مدارج السالكين“ (3/490 ط عطاءات العلم):

وفي حديث سيد الاستغفار قوله: «وأنا على عهديك ووعدك ما استطعت»، أي مقيم على التصديق بوعدك، وعلى القيام بعهدك، بحسب استطاعتي.

والحاصل على هذه الإقامة والثبات: ذوق طعم الإيمان، و مباشرته للقلب. ولو كان الإيمان مجازاً لا حقيقةً لم يثبت القلب على حكم الوعد والوفاء بالعهد، ولا يُقيمه في هذا المقام إلّا ذوق طعم الإيمان. وثوب العارية لا يحمل صاحبها، ولا سيما إذا عرف الناس أنه ليس له، وأنه عارية عليه، كما قيل:

ثوب الرّباء يشفي عما تحته ... فإذا اشتملت به فإنك عاري.“ انتهى، من ”مدارج السالكين“ (3/490).

وينظر للفائدة: جواب السؤال رقم: (218905)، ورقم: (404015)، ورقم: (114214).

والله أعلم.